دورالثقافة والتعليم في تطويرحياة سكان الاهوار

م.م. محمد حمود إبراهيم
مركز ابحاث الاهوار – جامعة ذي قار

المستخلص

تلعب الثقافة التقليدية التي تطبع حياة المجتمعات البدائية ومن بينها مجتمعات الاهوار دور رئيس ومؤثر في عملية النكوص والتردي الاجتماعي بكافة صوره وأشكاله . وفي ظل غياب تام أو شبه تام لمؤسسات التربية والتعليم الرسمية المتمثلة بالمدرسة فان المشكلة تتعقد أكثر وتصبح حجر عثرة ومعوق حقيقي في طريق أي تحول أو تغير اجتماعي نحو حياة أفضل . أن تفشي الأمية والاجترار الاجتماعي للأفكار والعادات والتقاليد والقيم التي تتوارثها الأجيال واحداً بعد آخر ساهم ولازال يساهم في نشوء ثقافة مغلقة وعصية على الاختراق.

وفي هذه الدراسة التي تنطلق من فرضية مفادها " أن للثقافة والتعليم دور رئيس في تطوير حياة سكان الأهوار " يحاول الباحث أن يسبر غور هذه المسألة الشائكة التي هي في أمس الحاجة للحل من أجل تقليل المعانات والحد من الصور المأساوية التي تعيشها مجتمعات الأهوار وبالأخص منهم النساء والأطفال .

ومع اعترافنا بأن التغير الثقافي يحدث نتيجة الحتمية التاريخية، إلا أن التاريخ قد يقف عاجزاً أمام قناعات اجتماعية تعيش خارج عجلة التاريخ نفسه . أن من المجحف القول بأن سكان الأهوار يتحملون عبء هذه المشكلة لوحدهم اذا ما أدركنا وبقليل من التجرد والموضوعية ما تعرض له هؤلاء السكان طوال العقود الماضية من شتى أنواع الظلم والحيف الحكومي والمؤسساتي والمجتمعي، ناهيك عن قسوة البيئة التي يعيشون فيها. لقد كانت دوامة " الدولة ـ المجتمعات المحلية المحيطة ـ البيئة ـ الثقافة التقليدية " تمارس ضغطها المستمر والمزدوج على مجتمعات الأهوار متمثلاً تارةً بالقمع والاضطهاد الجسدي والنفسي والفكري، وتارة ثانية بالتهجير القسري والمطاردات المسلحة، وتارة ثالثة بالتهميش والصد الثقافي وعدم الدمج المجتمعي. ومن هنا ندرك مدى الفضاعات التي تعرض لها هؤلاء السكان حتى صيرتهم فاقدين لكل شيء إلا لثقافاتهم التقليدية التي زادت من مآسيهم وكرست بؤسهم .

مقدمة

عانى السكان الذين عاشوا في الاهوار قبل التجفيف منتصف عقد التسعينات من القرن العشرين أو أولئك الذين عادوا الآن للمعيشة هناك ظروفاً قاسية وصعبة لا يمكن أن يتصور المرء مدى فظاعتها في بعض الأحيان ، وفي الحقيقة فأن ظروفاً وعوامل معقدة ساهمت ولا زالت تساهم في تردي ونكوص حياة سكان الاهوار باستمرار.ويعتقد الباحث أن الثقافة التقليدية، وتفشي ألامية، وتدني وانتكاس المستوى التعليمي عناصر فعالة ومؤثرة في هذا الوضع القائم. وبالتالي فأن التغير في مفاهيم الثقافة ومفرداتها ومحاولة الحد من نسب ألامية ورفع المستوى التعليمي للسكان سوف يساهم في تغير حياتهم نحو الأفضل . هذا لا يعني أن هذه العوامل هي العوامل الوحيدة بل أن هناك مجموعة من العوامل الأخرى التي تداخلت فيما بينها لتخرج في النهاية صورة مأساوية لحياة سكان الاهوار، ومن هذه العوامل وأكثرها تأثيراً عملية التجفيف وما نتج عنها من نزوح وهجرة السكان في أشتات متباينة داخل القطر وخارجه .

ويحاول الباحث في هذه الدراسة السوسيو ـ انثربولوجية أن يبين مدى أهمية التغير الثقافي المقصود ورفع المستوى التعليمي في عملية التطوير والتغير التي يرجى تحقيقها في هذه البيئة .

وتقوم هذه الدراسة على المعايشة الميدانية للباحث بين مجتمعات البحث التي تم تحديدها .

الفصـــــــل الأول
الإطار العـــــــام للبحث

أولاً : طبيعة الدراسة :

وهي دراسة سوسيو – انثروبولوجية تعتمد العمل الحقلي في الميدان الاجتماعي لثلاثة مجتمعات محلية (ستة قرى) في أهوار جنوب العراق توزع على محافظات ذي قار والبصرة وميسان ويحاول الباحث من خلالها التوصل إلى نتائج موضوعية ، علمية ودقيقة لجزء مهم وحيوي من المجتمع العراقي لازال بحاجة ماسة إلى دراسات علمية من كافة أوجه الحياة والدراسة التي تعتمد المعايشة الميدانية مع العينات المختارة اعتمدت كذلك على الملاحظة العلمية الدقيقة، وعلى التحليل العلمي المباشر والمتأخر ، الاول حينما يحاول الباحث ربط ملاحظاته الآنية لمجتمع البحث وفق آلية معينه وتحليل كل شاردة وواردة مما يلاحظ في الميدان والثاني هو تحليل النتائج التي يتوصل اليها بعد ربطها بالأسباب التي يجد أنها مترابطة معها. كذلك فأن الدراسة اعتمدت على طريقتين من طرق البحث الاجتماعي هما المقابلة، والاستمارة الاستبيانية إضافة إلى اللجوء إلى المنهج التاريخي والمقارن في أحيان كثيرة ، من هنا نجد ان الدراسة قد سلكت منحنين تلازماً وترابطا إلى حد كبير هما المنحنى السوسيولوجي والاخر الانثروبولوجي الأمر الذي اعتقد الباحث من خلاله انه سوف يدعم دراسته ويجعلها أكثر قوة ورصانه .

ثانياً : أهدافها :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الاهداف أهمها :

١- إبراز وتوضيح الأهمية الفائقة للتعليم في التغير الثقافي ومن ثم في المساهمة في عملية التغير الاجتماعي الشامل في أي مجتمع، وبالأخص المجتمعات البدائية ومنها مجتمعات الاهوار .

٢- الاعتراف بأن الكثير من صور التخلف الاجتماعي في أغلب مجتمعاتنا سببه الثقافة التقليدية التي لازالت تساهم في عملية النكوص والتردي في مسيرتنا التي تنعكس على شكل سلوكيات فردية واجتماعية تتوارثها الاجيال واحداً بعد آخر .

٣- تشجيع البحث العلمي الاجتماعي في مناطق نائية ظلت منعزلة لفترات طويلة مغلقة وبعيدة عن اهتمام الحكومات والباحثين.

٤- إزالة الكثير من الأقنعة التي لازلنا نؤطر بها وجوهنا ونحجب الحقيقية عن أنفسنا قبل ان نحجبها عن غيرنا وذلك من خلال ما تكشفه الدراسة عن نسب الامية المتفشية والتي تنذر بالخطر أمام ما تخطوه المجتمعات المتقدمة يومياً في طريق الرقي المعرفي والثقافي .

٥- رفد مكتباتنا الوطنية والعالمية بدراسات ميدانية لبيئة الاهوار الاجتماعية والطبيعية والتي هي افقر ما تكون لمثل هذه الدراسات مقارنة مع المكتبات الاجنبية في هذا المجال .

ثالثاً : أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة من ا
أهمية الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والتي إن أنجز قسم منها فانه سوف يساهم في عملية التحول والتغيير التي يرنوا أليها قطرنا في هذه الفترة الخطيرة والمهمة من تاريخه .

رابعاً : صعوبات الدراسة :

واجهت الباحث مجموعة من الصعوبات المادية والمعنوية يمكن اجمالها بالاتي :

١- عدم وجود الجهة الممولة والتي تدعم الباحث والفريق البحثي الذي يشكله معه لمساعدته في المعايشة الميدانية .

٢- موقع القرى المختارة في مناطق نائية وبعيدة في ظل فقدان العنصر الامني ووعورة الطرق البرية والمسالك المائية .

٣- وجود حالات عدم الثقة بين المجتمعات المحلية بعمل الفرق البحثية والمتأتية عن الفكرة المسبقة التي يحملها السكان في هذه المناطق تجاه الفرق الحكومية التي كانت تزورهم ثم يلحقهم الاذى بعد كل زيارة ، أن عمل الكثير من المنظمات الانسانية بعد سقوط النظام والتي يعتقد السكان بأنها لم تقدم لهم انجازات ملموسة بقدر ما سرقته من مآسيهم ومعاناتهم وتحويلها في مصالحها الذاتية زادت في حالات عدم الثقة لدى هؤلاء السكان .

٤- مفردات الثقافة التقليدية للسكان ونسب الامية المرتفعة يزيد من صعوبة مهمة الباحث في عمليات المقابلة وفي ملء الاستمارات الاستبيانية إذ توجب على الباحث ان يملئ كل استمارة بنفسه بعد ان يشرح مفرداتها ويعيد صياغة اسئلتها بطرق يفهمها الناس هناك ، الأمر الذي زاد في إعباء الباحث وكلَّفه الكثير من الجهد والوقت والمال .

المبحث الثاني
أهم المصطلحات والمفاهيم العلمية

يعتقد الباحث أن لا بد من التعريف ببعض المصطلحات والمفاهيم العلمية التي سوف ترد في الدراسة وهي كما يلي :-

١. سكان الاهوارmarshland people:-هم السكان الذين يعيشون في مناطق الاهوار جنوب العراق،ويمتازون بمجموعة من القيم والمفاهيم والعادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بهم كما أنهم يمارسون مجموعة من الأنشطة الاقتصادية تتعلق ببيئة الاهوارالتي يعيشون فيها ويتكيفون معها ،مثل قص القصب وتصنيعه وبيعه وتربية حيوان الجاموس وتصنيع منتجاته وبيعها بالإضافة إلى ممارستهم مهنة صيد الأسماك وبعض المهن الصغيرة الأخرى.
ولا يمكن الخلط بين سكان القرى الريفية المحاذيةللاهوار وبين سكان الاهوار(المعدان)،كما فعل الكثير ممن زجوا أنفسهم في هذا المضمار دون وجه حق لان في ذلك حطا منهجي كبير يضر بدراسة التركيبة السكانية في العراق، كما إن فيه إجحاف بحق كلا النوعين.أن اختلاف البناء الاجتماعي بين سكان الاهوار وسكان المناطق الريفية المحاذية للاهوار واضح جدا ولا يمكن لأي باحث مبتدأ إلا وان يحدده.

٢. الثقافةculture:-
هي الكل المركب الذي يتكون من المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات والأعراف التي يتم اكتسابها من قبل الإنسان من خلال عضويته في المجتمع الذي يعيش فيه كما عرفها تايلر1)Tyler).بينما عرفها كر وبر و وكلاكهون على أنها تعني جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ الصريحة منها و الضمنية،العقلية منها وغير العقلية والتي هي موجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة(٢).أما ريد فيلد فقد عرفها على أنها مجموعة المفاهيم والمدركات المصطلح عليها في المجتمع التي تظهر في الفن والفكر والحرف عن طريق دوامها من خلال التقاليد التي تميز الجماعة الإنسانية بشكل واضح(٣).

٣. هناك اختلاف حول أي من الكلمتين في اللغة العربية تقابل المصطلح الإنكليزيcultureفمنهم من يعتقد أنها حضارة ومنهم من يعتقد أنها ثقافة .والظاهر أن هذا الاختلاف هو احد الاختلافات التي تنشا عادة بين الانثروبولجيين والمختصين في علم الاجتماع .ودفعا للالتباس فان أية كلمة ثقافة ترد في هذه الدراسة أنما تشير إلى مصطلح cultureبينما تشير كلمة تربية إلى education.

٤. تنشئة اجتماعيةsocialization
هو احد مصطلحات علم النفس الاجتماعي .ويعني عملية اجتماعية نفسية تتقوم بها نفسية الفرد وتتطور بالتعليم في العائلة وخارجها وبوسائل الضبط الاجتماعي، من اجل أن يتواءم الفرد مع حضارته،ويصبح قادرا على العيش في مجتمعه،وعلى تطبيق نظمه والتفاعل مع إفراده. وتتضمن عملية غرس قيم الجماعة،ومثلها وأهدافها في نفس الفرد وتعليمه كيفية التعبير عنها بمعايير اجتماعية وبأطر من ادوار وفعاليات اجتماعية. وتستغرق هذه العملية عمر الفرد بأكمله،إذ تبدأ مع الولادة وتستمر طيلة أطوار الحياة(٤).

٥. التطور الاجتماعي social evolution
عملية تطور تدريجي،يحدث بصورة عفوية أو موجهة في الأفكار والنظم والمعايير والتطبيقات والعلائق والفعاليات الاجتماعية السائدة في المجتمع.ويقوم مفهوم التطور علا فكرة أن النظم الاجتماعية كافة تمر بمراحل معينة فتنتقل من البسيطة إلى المعقدة(٥).

٦. التغير الاجتماعيsocial change
هو مصطلح شديد القرب في معناه من مصطلح (تغير حضاري) وكثيرا ما تستعمل صفة(اجتماعي)بمعنى(حضاري) فيتطابق معنيا المصطلحين. ويعني التغير الاجتماعي بعامة التبدلات الهامة في العلائق والنظم والقيم والمعايير والعادات الاجتماعية الثابتة والنسبية التي تكون البناء الاجتماعي نتيجة لمؤثرات وعوامل حضارية واقتصادية و سياسية تتفاعل مع بعضها البعض(٦).

٧. محوالاميةilliteracy eradication
وتعني إزالة الأمية عن الأفراد وتحررهم من مشكلاتها ومعوقاتها من خلال تعليمهم القراءة والكتابة والحساب ورفدهم بالمعارف الحضارية التي تمكنهم من فهم مجتمعهم والإلمام بظروفه السياسية والاجتماعية لكي يكونوا متكيفين مع المجتمع ومستعدين لأداء المهام والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم(٧).ولا تقل عملية محو الأمية الحضارية أهمية عن محو الأمية الأبجدية،إذ أن لها مر دوداتها التنموية التي تمس الجوانب الحساسة مما يساهم في تطوير المجتمع ودفعه إلى الأمام بحيث يصبح قادرا على تحقيق طموحاته وأهدافه.أن انتشار الثقافة والتعليم بين الأفراد لا يزيد الإنتاجية فحسب بل يضع أيضا القواعد الأساسية للتصنيع،كما يساهم في تطوير أساليب التنشئة الاجتماعية التي تنتهجها الأسرة وتحسين ظروفها الاقتصادية والاجتماعية وزيادة وعيها الاجتماعي(٨).

الفصل الثاني
الملامح العامة لمجتمعات الدراسة

أولاً : تعريف سريع بمجتمعات الدراسة :

تم أختيار مجموعة من القرى التي تستقر في الاهوار في الوقت الحاضر، وفق تصور للباحث أراد ان يثبت من خلاله صدق افتراضه الذي يؤكد ان التعليم سوف يساهم في تغير حياة السكان نحو الافضل من خلال تعديل وتطوير المفردات الثقافية التقليدية التي تحد من حركة تقدمه إلى حد بعيد. ففي أهوار سوق الشيوخ ثم اختيار قريتي (الطويرات) و(السحالات) في منطقة الخميسية ١٥ كم جنوب غرب مركز سوق الشيوخ. وتشكل هاتين القريتين مع قريتين أخريتين هما (الخميسية) و (الهدابية) أربعة قرى تستقر على جانبي السدة الترابية التي تمتد من المنطقة التي تقابل محطة قطار سوق الشيوخ وصولاإلى نهر المصب العام، وبطول ٢٠ كم تقريباً،ولقد كان الغرض منها تجفيف الاهوار في هذه المنطقة ضمن عمليات التجفيف الشاملة التي بدأت في عام ١٩٩٢، وتتبع قريتي السحالات والطويرات إدارياً إلى ناحية الفضلية وعشائرياً إلى عشيرة النواشي .أما من أهوار محافظة البصرة فقد تم اختيار قريتي(البدرية والروطة)، الأولى تقع شمال قضاء المدينة على بعد ١٠ كم على الجانب الايمن من الطريق الذي يصل بين قضائي الجبايش والمدينة، بينما تقع القرية الثانية في قضاء القرنة، ناحية الثغرعلى بعد ١٥ كم شرقاً على الضفة اليسرى من نهر دجله.وفي محافظة ميسان تم اختيار قريتين من قرى الاهوار هما (الدبن) و (العوينية) التابعتان إلى قضاء الكحلاء٢٥كم باتجاه الحدود الايرانيه.

ثانياً : السكان :

يبلغ سكان قرية الطويرات (٤٠٢) نسمة، منهم (١٨٤) ذكور و (٢١٨) أناث ، فيما يبلغ سكان قرية السحالات (٨٣٥) نسمة، منهم (٤٠٠) ذكور و(٤٣٥)إناث.تضم القرية الأولى (٥٣) عائلة وتضم القرية الثانية (١١١) عائلة . إما قريتي محافظة البصرة فتضم قرية البدرية (١٦) عائلة مجموع سكانها (١٥٢) نسمة، فيما تضم قرية الروطة (٩٧) عائلة مجموع سكانها (٧٠١) نسمة ، أما القريتين اللتين تقعان في أهوار ميسان فتضم قرية الدبن (١٧٠) عائلة مجموع سكانها (١٢٢٢) نسمة وتضم قرية العوينية (٢٦) عائلة مجموع سكانها (١٦١) نسمة .

ويمكن وضع الجدول التالي الذي يوضح الفئات العمرية للسكان في هذه القرى الستة:

أسم القرية	الفئات العمرية				
	تحت ٦ سنوات	٦ – ١٢	١٣ – ١٨	١٩ فما فوق	المجموع
الطويرات	١٠٦	٨٧	٥٠	١٦٠	٤٠٢
السحالات	١٧٥	١٤٧	١٣٦	٣٧٧	٨٣٥
البدرية	٦٠	٤٠	٢٠	٣٢	١٥٢
الروطة	٣٥٢	١٢٦	٥٠	١٧٣	٧٠١
الدبن	٤١١	٣٢٨	١٦٣	٣٢٠	١٢٢٢
العوينة	٤٩	٣٥	١٧	١٦	١٦١
المجموع	١١٥٣	٧٦٣	٤٣٦	١٠٧٨	٣٤٧٣

جدول رقم(١)يوضح الفئات العمريةللسكان في القرىالخاضعة للدراسة.

ثالثاُ : النشاطات الصناعية والتجارية :

يمارس أغلب سكان الاهوار نشاطات اقتصادية متشابهة إلى حد ما إذ تشكل هذه النشاطات جزء من معايشتهم مع البيئة التي ينصهورن في بوتقتها ويكيفون انفسهم معها ومن خلال الجدول التالي تستطيع أن نحدد أهم هذه النشاطات.

أسم القرية	النشاطات الصناعية والتجارية					
	تربية حيوانات وبيع منتوجاتها	صيد الاسماك والطيور	قص القصب وتصنيعه	وظيفة حكومية	أخرى	المجموع
الطويرات	20	1	28	5		٥٤
السحالات	19	64	12	19		١١٤
البدرية	16					١٦
الروطة	89	91	80	1		٢٦١
الدبن	47	165	12			٢٢٤
العوينة	20	26	15			٦١
المجموع	٢١١	٢٨٢	١٠٧	٢٥		

جدول رقم(٢)يوضح النشاطات الصناعية والتجارية لمجتمعات الدراسة

رابعاً : الثروة الحيوانية :

تعتبر الثروة الحيوانية جزء رئيس ومهم في حياة سكان الاهوار إذ لا يبقى معنى لتحملهم مشاق الحياة القاسية في هذه البيئة البدائية من دون الحيوانات التي يجتهدون في حصولهم على مناطق الرعي الجيدة ، ويشير الجدول التالي إلى أعداد الحيوانات في مجموع القرى موضوع الدراسة :

أسم القرية	أعداد الحيوانات		
	الأبقار	الجاموس	المجموع
الطويرات	55	43	98
السحالات	113	93	206
البدرية	29	155	184
الروطة	264	355	619
الدبن	305	316	٦٢١
العوينة	30	25	٥٥
المجموع	٧٩٦	٩٨٧	١٧٨٣

جدول رقم(٣)يشيرالىاعدادالحيوانات في القرى الخاضعة للدراسة.

خامساً : ظروف الاقامة والمعيشة :

تعتبر ظروف الاقامة والمعيشة قاسية وغير منطقية للعيش ألآدمي في أحيان كثيرة وقد فاقمت عمليات النزوح القسري نتيجة تجفيف الاهوار والمطاردات الامنية من قساوة الحياة للنسبة العظمى من سكان الاهوار وقد أزدادت هذه الحالة من سيء إلى أسوأ بعد اضطرار هؤلاء على العودة القسرية ايضاً للاهوار بعد ان خيرتهم المجتمعات المحلية التي استقروا فيها بعد التجفيف والتي اصبحت الان مناطق توتر بين الموت او الرحيل فأثر هؤلاء السكان الخيار الثاني على علّته إذ كانت هذه العودة غير محموده بسبب الفوضى والعشوائية التي رافقت العودة الجزئية لمناطق الاهوار وغياب الحد الادنى من الخدمات التي يمكن ان تقدمها أية حكومة لمواطنيها ، والجدول رقم (٤) يوضح ظروف الاقامة والمعيشة لهذه القرى.

الفصل الثالث
التعليم والثقافة

تعتبر الثقافة من بين المفاهيم التي اختلف على تعريفها بين مختلف العلوم ذات الاهتمام المشترك ويعتبر تعريف كر وبر وكلاكهون من أكثر التعاريف التي يتفق عليها أغلب المختصين إذ يقول (الثقافة تعني جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ ، الصريحة منها والضمنية ، العقلية منها وغير العقلية والتي هي موجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة) (١) ، أما بالنسبة للتعليم فهو عملية الاكتساب المعرفي الذي يتلقاه الانسان من القنوات الرسمية أو غير الرسمية على مدى مراحل حياته ، وبما ان مصطلح الثقافة يشير انثروبولوجياً لمختلف انواع السلوك الإنساني في مجتمع ما يصرف النظر عن مدى درجة الرقي والتقدم التي وصل إليها ذلك المجتمع فأننا نفهم بأن الثقافة تعني العادات والتقاليد والافكار والقيم والاعراف بل وحتى المعتقدات بداءً من عادات تناول الطعام مروراً بطرق تحكم الناس بسلوكهم تجاه بعضهم البعض عادات الزواج ، الملابس ، فض المنازعات ، اللغة ، بناء المساكن ..... الخ وعلية فأن نتاج الثقافة هو ما يبرز على شكل سلوك انساني ظاهر وهذا لا يعني بأي حال من الاحوال أنه يمكننا ان نخلط بين الثقافة وبين الافعال السلوكية نفسها ، فأساليب السلوك التي تكون ثقافة أي مجتمع هي عبارة عن تعميمات لسلوك كل أو بعض أفراد ذلك المجتمع فهي لا تصف بدقة ولا تتناول العادات الشخصية بأي فرد من افراد ذلك المجتمع ومن الخطأ الاعتقاد بان ثقافة من الثقافات تحدد نفس السلوك بدقة لكل من أفرادها (٢) .

ويدل مصطلح الثقافة على اساليب السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات وليس في مجتمع واحد فقط ويؤدي تعدد الاتصالات بين المجتمعات إلى انتشار بعض جوانب الثقافة فيما وراء حدود المجتمع الواحد بحيث تصبح مشتركة بين عدة مجتمعات والشائع أن ترتبط هذه الثقافات الاقليمية بمناطق بيئية معينة حيث يمكن ان تحدث بعض جوانب التكيف البيئية المتمثلة ...وهذا ما ينطبق على مجتمعات الاهوار التي تعيش في بيئة متماثلة او لديها اساليب سلوك شائعة بين جميع مجتمعاتها المحلية على الرغم من وجود العديد من الثقافات الفرعية بين هذه المجتمعات والتي تميز بعضها البعض في أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

أن الانسان الذي يخضع لعملية تربية وتعليم منذ لحظة الولادة يظل خاضعا لعملية التلقي والتلقين وبدرجات متباينة من الحدة والتركيز تارة، ومن التكثيف تارة أخرى الامر الذي يجعل الفرد يكتسب اساليب ثقافته تدريجياً لتصل في أحيان كثيرة إلى الحد الذي يجعله يندمج وينصهر فيها، وبالطبع فأن ذلك يكون شخصيته الخاصة به، وهو أيضا يشارك في تعميم ثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه ويدافع عنها. فالتربية كما يقول (Linton)

أسم القرية	ظروف الإقامة									
	نوع السكن			الكهرباء	حياة الشرب	مياه الغسل	الطرق	مدارس		مراكز صحية	
	قصب	طين	طابوق					ابتدائية	ثانوية	بشرية	بيطرية
الطويرات	3	47	3	كهرباء وطنية	سيارات حوضية	الهور	ترابي	1	-	لا يوجد	لا يوجد
السحالات	صفر	88	23	كهرباء وطنية	سيارات حوضية	الهور	ترابي	1	-	لا يوجد	لا يوجد
البدرية	16	-	-	لا توجد	سيارات حوضية	الهور	ترابي	لا يوجد	-	لا يوجد	لا يوجد
الروطة	89	8	-	لا توجد	سيارات حوضية	الهور	ترابي	لا يوجد	-	لا يوجد	لا يوجد
الدبن	141	28	-	لا توجد	سيارات حوضية	الهور	ترابي	1	-	لا يوجد	لا يوجد
العوينية	26	-	-	لا توجد	سيارات حوضية	الهور	ترابي				

جدول رقم(٤)يوضح ظروف الإقامة للسكان في مجتمعات الدراسة.

(هي عبارة عن نمط مركب من القدرات العقلية والمدركات الحسية والافكار والعادات الفردية والاستجابات العاطفية المشروطة) (٣) .

وتعتمد شخصية الانسان في جانب منها على بعض القدرات والاستعدادات الو راثية، والمكانات، والأدوار التي يشغلها إثناء حياته والتعليم الذي يتلقاه هذا الفرد داخل ثقافة بعينها وإذا تكللت عملية التربية بنجاح وهو ما يحدث فعلاً فأن الفرد يصبح وقد اكتسب بذلك تراث مجتمعه بقدر ما . بمعنى انه تعلم كيف يكيف نفسه على الحياة مع الاخرين في مجتمعه وكيف يحقق التكامل بين رغباته ومثله العليا وبين انساق القيم السائدة في الجماعة (٤) .

من هنا ندرك مدى التلازم بين مفردات الثقافة والسلوك والتربية والتعليم ومدى تكاملها في عملية تطوير الحياة بمختلف صورها الاجتماعية والاقتصادية ، وإذا كان الانثروبولوجيون قد أطلقوا على العملية التي يتعلم من خلالها الانسان ثقافة مجتمعه بعملية التنشئة الثقافية، فان علماء الاجتماع أطلقوا عليها بعملية التنشئة الاجتماعية وإننا لا نجد فرقاً كبيراً في فحوى العمليتين اللتين تدلان على التربية والتعليم ومع ذلك فان التربية عند الانثروبولوجية تمثل عملية أوسع نطاقا من مفهوم المؤسسات الرسمية الذي يؤطرها، بل تتضمن انواع التعلم كافة الرسمي منها وغير الرسمي والذي يؤدي إلى اكتساب الفرد للثقافة وتكوين شخصيته وتعلمه القدرة على ان يكيف نفسه مع الحياة كعضو في المجتمع (٥) ، وفي ظل غياب الجانب الرسمي في التربية والتعليم متمثلة في قناتها الرئيسية (المدرسة) في مناطق الاهوار التي نحن بصدد دراستها هنا فأن المجتمعات هناك تمارس فيها عملية التربية والتعليم من قبل افراد غير متعلمين الامر الذي يؤدي بهذه المجتمعات إلى ان يكتسب الفرد فيها الجانب الاكبر من تربيته أو مجمل العملية التربوية من خلال الأسرة التي يعيش فيها، وأيضا من خلال أبناء العمومة والعشيرة، والأصدقاء، والجيرة، والرفقة إذ يتعلم الطفل والمراهق والشاب مفردات ثقافته من خلال المشاركة في نسق الالتزمات المتبادلة بين الأقارب، وفي عمليات التنظيم الاقتصادي، وفي الطقوس، والمراسيم الدينية، وجلسات السمر التي يتخللها قص الأساطير والحكايات في ظل غياب تام أو شبة تام للمؤسسات الرسمية مثل المدرسة ووسائل الاتصال الجماهيري مما يجعل من عملية الثقافة والتعليم في مناطق الاهوار تدور في حلقة مفرغة ومغلقه على نفسها بل وتحاول أن تكون بمعزل وبمنأى عن باقي الثقافات الاخرى وهكذا تتعلم الاجيال الصغيرة من التي سبقتها كيف تكرس حالات التخلف والنكوص والتردي في مختلف أوجه الحياة وفي شتى الصور.

أولاً : العادات والتقاليد والافكار والقيم

لقد تربى سكان الاهوار على مجموعة كبيرة من المفاهيم الثقافية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، وتظهر هذه المفاهيم وبدرجة واضحة وكبيرة في مجمل الاطر التي يؤطرون بها حياتهم بدءاً بالعلاقات الاجتماعية ومروراً في عادات الملابس، والطعام، والمراسيم الطقوسية، وبناء المساكن، وانتهاء بمراسيم الأفراح والأحزان، والعقوبات الجزائية والزواج والطلاق وغيرها من

صور الحياة الاخرى . أن المجتمعات البدائية ومن ضمنها مجتمعات الاهوار تحمل قدراً كبيراً من الاهتمام بالاعراف الاجتماعية والقيم والأفكار التي يتوارثهاالابناء عن آبائهم وأجدادهم، ومن الصعوبة بمكان إقناع البعض منهم انه يجب تغيير أو تعديل بعض هذه المفاهيم واقتلاع البعض الاخر منها من الجذور . أن من الممكن القول أنهم غير مبالين أو غير مصدقين بأن للثقافة التقليدية التي يحملون مفاهيمها دور كبير ومؤثر في تكريس حالات التخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لديهم، لكنهم سرعان ما يشعرون بذلك شعوراً كبيراً إذا ما نبهوا لهذا الامر بقليل من الصبر. من خلال طرحي لمجموعة من الاسئلة ذات العلاقة بالموضوع علىعينة عشوائية تضم ٦٠٠ شخص من سكان القرى الخاضعة للدراسة نستطيع ان تقدر حجم المشكلة،ووجوب البحث عن القنوات التي يمكن من خلالها الولوج إلى صميم هذه المشكلة وحلها أو القضاء عليها والجداول التالية توضح هذه الحقيقة بصورة جلية:-

السؤال رقم (١)

السؤال	الجواب (كلا)	لا أدري	نعم
هل تعتقد ان هناك حاجة ملحة لتغيير ثقافة سكان الاهوار في الوقت الحاضر ؟	شخص 52	96 شخص	شخص 452
النسبة			

السؤال رقم (٢)

السؤال	كلها جيدة	بعضها جيد وبعضها ردئ	كلها ردئية	لا أدري
ما رأيك بالعادات والافكار والقيم والتقاليد السائدة حالياً في الهور	102	243	100	155
النسبة				

السؤال رقم (٣)

السؤال	لا ادري	كلا	نعم
هل تعتقد ان للثقافة والتعليم دور حقيقي في تغير حياة سكان الاهوار نحو الأفضل؟	شخص 12	30شخص	558شخص
النسبة			

السؤال رقم (٤)

السؤال	المضيف	المحاضرات الدينية	وسائل الأعلام	السفر والاختلاط	المدرسة
ما هي القنوات التي يمكن من خلالها احداث التغيير في الثقافة ؟	شخص 12	شخص 34	شخص 22	شخص 12	شخص 520
النسبة					

ومن خلال مراجعة النسب المئوية التي أفرزتها الجداول السابقة نستطيع ان نلمس لدى سكان الاهوار الرغبة العارمة في تغير الكثير من العادات والافكار والقيم التي أدركوا الآن أنها تشكل حجر عثرة في طريق أي تغيير لحياتهم نحو الافضل كذلك فأن النسبة الكبيرة تعول على مؤسسة المدرسة مسؤولية التغير الثقافي .

ثانياً : المستوى التعليمي :

يعتبر المستوى التعليمي متردياً للغاية في مناطق الاهوار الامر الذي يؤدي إلى تكريس حالات التخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي ترافق الامية وتشكل معها حلقات في دوامة مفرغة يظل الانسان يدور في فلكها جيلاً بعد أخر ولا يقع الجزء الاكبر من المسؤولية على مجتمعات الاهوار بقدر ما تقع على مؤسسات الدولة التي اغفلت هؤلاء السكان ولم تضعهم ضمن خططها فمنذ انشاء الدولة العراقية الحديثة في عام ١٩٢١ لم تلتفت أي من الحكومات المتعاقبة إلى بيئة الاهوار لا طبيعياً، ولا اجتماعيا بل كانت هذه البيئة وعلى الدوام هدفاً سلبياً تحاربه في كافة النواحي والاتجاهات، ولسنا بصدد الحديث عن هذا الموضوع، لكن ما أردت أن

أشير إليه هو أن الدولة العراقية كرست حالات التخلف والتردي والنكوص في الاهوار بل صارت تنمي هذه الحالات في الحقب الاخيرة من خلال مجموعة السدود العشوائية التي خربت التوازن البيئي للطبيعية فيها، إلى الحرب العراقية الايرانية وتهجير عشرات القرى من مواطنها هناك، إلى القصف العشوائي بالمدفعية والطائرات لقرى الاهوار المختلفة، وصولاً إلى عملية التجفيف المجحفة بحق الإنسان، والحيوان، والطبيعية، وبحق التاريخ، والجغرافية، وبحق البيئة بكافة صورها. فكيف يمكن لأبناء قرية مثل قرية الروطة التابعة لناحية الثغر، قضاء القرنة مثلاً ان يكملوا تعليمهم مثل كافة الأطفال والشباب في العالم وقريتهم تعرضت للتهجير عنوة أو طواعية لسبعة عشر مرة خلال (٢١) عام، فبعد أن كانت هذه القرية مستقرة ويستطيع أبنائها الذهاب إلى المدرسة على الرغم من وعورة المسالك المائية التي يجتازونها كل يوم في الهور، أصبحوا وعلى حين غرة بلا مأوى بعد أن اضطرتهم أجهزة النظام السابق القمعية على ترك مناطقهم التي اصبحت مناطق قتال في النصف الثاني من عام ١٩٨٢ ، ولحد هذا اليوم ظلت هذه القرية في هجرة مستمرة وظلت أجيالها دون تعليم ، وما هذه القرية إلا مثالاً ضربته للتدليل ومثلها بل والأكثر معاناة منها مئات القرى في أهوار الحمار والاهوار الوسطى والحويزة على حدٍ سواء.

ومن خلال الجدول التالي للمستوى التعليمي لسكان القرى الستة الخاضعة للدراسة تستطيع ان نبين الأرقام التالية :

الأرقام في هذا الجدول تمثل الفئات العمرية من ٦ سنوات فما فوق ولا تضم الفئة العمرية المحصورة بين يوم واحد وستة أعوام على اعتبار ان هذه الفئة تحت سن المدرسة.

الفصل الرابع

أولاً : رفع المستوى التعليمي ودوره في التغيير الثقافي

لا أعتقد أننا نختلف في وضع افتراض علمي يؤكد على(أن رفع المستوى التعليمي لمختلف الفئات العمرية في مجتمعات الاهوار سوف يؤدي إلى أحداث تغيير في الكثير من العادات، والتقاليد، والأفكار، والقيم التي تشكل بمجملها الإطار الثقافي لدى هذه المجتمعات)، أخذين بنظر الاعتبار أن هذا التغيير يحتاج أيضا إلى وقت ليس بالقصير، وإلى تغيير في قناعات هؤلاء السكان بعد تعريضهم إلى صدمات فكرية وثقافية، الهدف منها أن تكشف لهم الجانب المظلم والسلبي الذي يسلكونه عنوة أو رغماً عنهم في الحياة .

أن أرتفاع نسبة الامية بين سكان الاهوار طردياً مع نسبة الزيادة في نفوسهم بسبب بقاء الاجيال الصغيرة والشابة خارج العملية التربوية كرس حالات انخفاض الوعي الاجتماعي، وبالتالي الاستسلام للأطر الفكرية والثقافية التقليدية، بل والانغماس فيها. وليس غريباً أن نجد بين فئات المراهقين والشباب من هم اكثر تمسكاً وإصرارا على هذه الاطر التي عرقلت عملية تحولهـــم

أســـــــم القرية	أمية		يقرأ ويكتب		ابتدائية		متوسطة		إعدادية		جامعة أو معهد		مجموع
	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	
الطويرات	**20**	**89**	**10**	**1**	**85**	**60**	**17**	**-**	**9**		**9**		**298**
السحالات	**82**	**160**			**151**	**148**	**102**	**03**	**7**		**7**	**2**	**662**
البدرية	**38**	**50**	**04**										**92**
الروطة	**151**	**173**	**14**	**4**	**5**	**2**							**349**
الدبن	**373**				**51**		**11**		**4**				
العوينة	**88**		**22**										
المجموع													

جدول رقم(٥)يوضح المستويات التعليمية لمجتمعات البحث.

وساهمت مساهمة كبيرة في بقائهم خارج عجلة التاريخ .

وبنظرة سريعة على الجداول الخاصة بالفئات العمرية نجد ارتفاع نسبة السكان في الفئتين الوليتين المحصورة بين (يوم واحد وحتى ١٢

دور المدرسة

أن وجود مدرسة في القرية أو قريباً منها لا بد أن يساهم في عملية التغير وان كان بنسب ضيلئة وقد اخترت قريتي السحالات والطويرات اختياراً قصدياً حتى يمكنني ان اقارنهما ببقية القرى فهاتين القريتين تشتركان في مدرسة ابتدائية

	عدم وجود مدرسة	ليس للمدرسة دور في تغيير الحياة	المدرسة بعيدة جداً	ليس للعائلة مصروف كاف	احتاج الأطفال للعمل	المجموع
ماهو سبب عدم ارسال أبنائك إلى المدرسة	800	79	350	200	219	

عام)، وهذا دليل على الرغبة في تكثير النسل من أجل سد احتياجات العائلة التي ظلت تراوح بين رعي الحيوانات أو جلب العلف لها، وبين جرد القصب والصناعات المرتبطة به، وبعض النشاطات الاقتصادية الاخرى التي لا تخرج كثيراً عن هذه الأطر، ومعنى هذا بقاء هذه الفئات التي اصبحت تشكل ما نسبته اكثر من (٩٠ %) من مجموع السكان خارج القنوات الرئيسة في التربية والتعليم وهي المدرسة وبالتالي مساهمتهم الفاعلة في زيادة نسبة الامية في عموم المجتمع والدوران في حلقة(ألامية ــ الثقافة التقليدية ــ التخلف الاجتماعي والاقتصادي). وإذا ما علمنا ان تقسيماً للعمل يجري داخل العائلة، وعرفنا أيضا أن الطفل يتوجب عليه العمل بين سن (٨ ــ ١٠) سنوات، ووجدنا أن رعي الحيوانات يكون من حصة الفئات الأصغر. بينما تقوم الفئات الاكبر بعملية جرد القصب وتصنيعه ورعاية الحيوانات وصناعة منتجاتها وبيعها أدركنا أن الطفل يسخر إلى مراقبة الحيوانات وبعض الأعمال الأخرى المرتبطة بذلك. والطريف أننا نجد في أحيان كثيرة تناسب أعداد هؤلاء الأطفال و الأحداث مع أعداد الحيوانات وهذا يعني أن الأهالي ربما يخططون لزيادات مستقبلية لعدد المواليد نتيجة تنبؤاتهم بزيادة أعداد حيواناتهم وفي المحصلة فأن الإنسان من حيث يدري أو لا يدري يسخر نفسه أو يُسخَّر لخدمة الحيوانات التي تعود له.

واحدة أسمها (مدرسة الخورنق) وهي موجودة منذ عشرات السنين مما أوجب على الاهالي ان يرسلوا ابنائهم اليها لذلك تجد ارتفاع نسب خريجي المدرسة الابتدائية في هاتين القريتين عما هو موجود في باقي القرى وهذا يعني وجود نسب كبيرة من الذين يستطيعون القراءة والكتابة وعلى الرغم من وجود الظروف القاسية وبُعد المناطق الحضرية التي تضم مدارس متوسطة واعدادية فأن الكثير من الأهالي أصروا على تكملة ابنائهم للمراحل الدراسية المتقدمة بعد ان لمسوا فائدة التعليم في الحصول على شهادة تؤهلهم إلى فرص جيدة للعمل على الأقل إلا أننا وللاسف الشديد نجد غياب المدرسة بين العدد الاكبر من قرى الاهوار الامر الذي يساهم في تكريس حالة الامية والجدول التالي يشير إلى حقيقية مرة يجب ان نكاشف انفسنا به.

الجدول اعلاه يوضح سبب عدم ارسال العائلات لا بنائها إلى المدرسة وبقائهم دون تعليم والعينة المختارة من ١٠٠٠ رب العائلة ، وقد تركت للعينة أن تختار اكثر من حقل لا ننى اعتقد أن أغلبهم يملك أكثر من سبب وهذه مشكلة بحد ذاتها لانها تجعل المشكلة التي نحن بصددها مشكلة معقدة وذات أوجه متعددة مما يضاعف من صعوبة الحل .

ومع ذلك فأن الفئة الأكثر تشاؤماً والتي ترى أن لا فائدة ترجى من المدرسة هي فئة قليلة مقارنة مع باقي الفئات التي تلتمس اعذاراً أو أنها تملك اعذاراً حقيقية وقد كانت الهجرات المتكررة لسكان الاهوار ثم نزوح القسم الاكبر منهم بعد التجفيف والتجاء

الكثير منهم إلى مناطق بعيدة بحثاً عن مناطق رعي لحيواناتهم قد كرس حالة عدم ارسال أطفالهم إلى المدارس بالاضافة طبعاً إلى أسباب حقيقية أخرى مثل الحصار الاقتصادي وتدني المستويات المعيشة لموظفي الدولة أصحاب الشهادات الدنيا والمتوسطة والعالية مما جعل الناس وسكان الاهوار من ضمنهم يعتقدون ان التحصيل العلمي ليس له فائدة بعد الان لانهم كانوا يربطون بين التحصيل العلمي والشهادة والعمل والراتب ، وهذا الامر غير صحيح في كل الاوقات لان الحاجة إلى التعليم ليس لاغراض الحصول على راتب أعلى من الاخرين فقط بل والاهم من ذلك هو لاكتساب القدرات والامكانيات التي تؤهل الانسان لان يعيش الحياة بصورة أفضل ولم يكن سكان الاهوار استثناءاً عن القاعدة إذ شملت هذه الحالة سكان الارياف والمدن على حد سواء مع أختلاف في النسبة والموقع الجغرافي والطبقة الاجتماعية والاقتصادية .

ثانياً : دور التغيير الثقافي في تطوير حياة سكان الاهوار

أن الحقيقية المرة الاخرى التي يجب ان لا ننساها هي ان الظروف الحياتية والمعيشية لكثير من سكنة الاهوار كانت أفضل مما هي عليه الان وهذا يعني أن حركة نكوص خطيرة قد مرت بها هذه المجتمعات على مختلف الصعد فهم الان يعودون إلى هور هجين تمثله بيئة طبيعية غير مكتملة تفتقر للمياه الصالحة للحياة وللعديد من الأحياء المائية التي كانت تضفي على الاهوار رونقاً خاصاً وطابعاً مميزاً تنفرد به هذه البيئة عن باقي الصور البيئية الاخرى وهم الان يبتنون مساكنهم بشكل سريع وعشوائي ويمارسون نظم حياتهم بشكل فج وغير منظم وفي أعتقادي فمرة ثانية وثالثة يجب أن نعترف بأن للثقافة دورها الذي لا يمكن أن ينكره باحث مجد ومتجرد في المأساة التي يعيشها هؤلاء بالاضافة طبعاً إلى جملة من المسببات الاخرى كالتجهيز والنزوح ومحاربة النظام السابق وغفلة أو تغافل أجهزة ومؤسسات الدولة وتجفيف الاهوار وبناء السدود العشوائية والظلم الاجتماعي الذي يلحق بهم من باقي المجتمعات المحلية الاخرى في الريف والمدينة من خلال تكريس النظرة الدونية التي ينظرون بها إلى هؤلاء السكان فهم قد طوقتهم حلقات ظلم كانت محاورها ((البيئة والمجتمع والدولة والثقافة)) .

ومن خلال مراجعة الجداول السابقة نجد أن قريتي الطويرات والسحالات اللتان لم تتعرضا للهجرة بعد التجفيف بالاضافة إلى وجود مدرسة ابتدائية واحدة قد استطاعتا أن تبنيا نظاماً اجتماعيا أفضل نوعاً ما من بقية القرى التي خضعت لنفس الدراسة فنجد مثلاً أنه من بين (١١١) منزلاً في قرية السحالات توجد (٨٨) منها مبنية من مادة الطين و (٢٣) منها مبنية من مادة الطابوق بالاضافة إلى وجود الطاقة الكهربائية التي تيسر في عملية التلقي الثقافي شبة الرسمي من على قنوات الاذاعة والتلفزويون ولقد وجدت تغييراً واضحاً في الكثير من المفردات الثقافية عن ماهو موجود عند قرى أخرى تعيش في الهور منذ مدة ليست بالطويلة بعد عوتها من الهجرة ، الامر الذي يشير إلى أن الاستقرار يوفر فرص أكثر للسكان في الحصول على التعليم وهذا الاخير يوفر أرضية جيدة النمو ثقافات أكثر تحضراً ورقياً وهذه الثقافات بدورها تساهم في عملية تطوير حياة هؤلاء السكان تدريجياً .

نتائج الدراســـة

والآن نستطيع أن نحدد مجموعة من الحقائق التي توصلنا إليها من خلال سير الدراسة والتي يمكن أعتبارها نتائجاً موضوعية ، علمية ودقيقية وهي كالاتي :

١. أن المجتمعات المحلية التي تسكن في أعماق الهور أو على ضفافه هي بحاجة ماسة وحقيقية لعمليات تغييرية على كافة الصعد والاتجاهات .
٢. أن هذه المجتمعات تعيش في ظروف شاقة ومأساوية لا تتناسب مع الحياة الادمية بأية حال من الاحوال .
٣. تلعب الامية وتدني المستوى التعليمي دوراً مهماً في نكوص المسيرة الاجتماعية وفي تعطيل عملية التغيير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي .
٤. ساهمت الثقافة التقليدية ولا زالت تساهم في بقاء سكان الاهوار خارج عجلة التاريخ .
٥. أرتفاع نسب الفئات العمرية الصغيرة بسبب كثرة المواليد في ظل انعدام تام أو شبة تام لوسائل الحياة الصحية والاجتماعية والثقافية في حدودها الدنيا .
٦. هناك رغبة عارمة وكبيرة لدى سكان الاهوار في تغيير حياتهم نحو الافضل .
٧. أيمان النسبة الاكبر من سكان الاهوار بضرورة التغيير ودور التعليم متمثلاً في حلقته الرئيسية (المدرسة) في أحداث هذا التغيير .
٨. أن أرتفاع نسبة الامية بين سكان الاهوار طردياً مع الزيادة في نفوسهم أدى إلى بقاء الاجيال الصغيرة والشابة خارج العملية التربوية الامر الذي أدى إلى أنخفاض الوعي الاجتماعي ومن ثم

الاستسلام للأطر الفكرية والثقافية التقليدية .

٩. كان بالاضافة إلى نقص التعليم وتردي الثقافة عوامل أخرى أهمها الهجرات المتكررة وقمع أجهزة النظام العسكرية والامنية للسكان وانعدام الخدمات والبنى التحتية والصد والتهميش الثقافي الذي تواجههم به المجتمعات المحلية الاخرى في الريف والمدن ساهمت جميعها في تكريس حالة التخلف والنكوص الاجتماعي.

١٠. ظل سكان الاهوار طوال العقود الاخيرة يحاربون من أجل بقائهم على عدة جبهات كان أهمها البيئة المحيطة بهم والتي تحولت من صديق يحنو عليهم إلى عدو يتهددهم بالفناء أما العدو الثاني فكانت الدولة بكافة أجهزتها التي وجهت ضد بيئة الاهوار الاجتماعية والطبيعية والعدو الثالث كان المجتمع العراقي نفسه خصوصاً المجتمعات المحلية القريبة من الاهوار أوتلك المجتمعات البعيدة عنها والتي توجه سكان الاهوار إليها بعد عملية التجفيف إذ لم تفتح هذه المجتمعات ذراعيها لاستقبال هؤلاء السكان ودمجهم معهم لا أجتماعياً ولا ثقافياً أما العدو الرابع وهو الاخطر فقد كان في نظري (الثقافة التقليدية) لهؤلاء السكان التي جعلتهم يدورن في فلكها ولا يخرجون إلى أطر ثقافية تنتشلهم من الواقع المأساوي الذي يعيشون فيه وبذلك فأن سكان الاهوار قد طوقوا بحلقات دوامة كان من الصعب الافلات منها كانت محاورها(البيئة والدولة والمجتمع والثقافة التقليدية) .

١١. واخيرا فاننا نقبل فرضية البحث التي استندت اليها الدراسة ومفادهاان للثقافة والتعليم دور مهم وحيوي في تطوير حياة سكان الاهوا ر،من خلال احداث التغيير في العادات والتقاليد والافكار والقيم التي تشكل بمجملها الاطار الثقافي لهذهالمجتمعات،ومن ثم تغيير بعض القناعات التي ظلت تشكل حجر عثرة معوق في طريق اي تغيير نحو الافضل.

المقترحات والتوصيات

١. قيام الحكومة العراقية بوضع الخطط العلمية التي تستند على اسس موضوعية لغرض احداث التغيير المقصود في بيئة الاهوار الطبيعية والاجتماعية مع ضرورة الاسراع في تنفيذ هذه الخطط، لان هذه البيئة وسكانها يعيشون ظروف قاسية لاتناسب الحياة الادمية باية حال من الاحوال.

٢. لا يعني التغيير في بيئة الاهوار زيادة مناسيب المياه بصورة عشوائية ،كما تفعل ذلك بعض الجهات التي اوكلت اليها مهمة انعاش الاهوار والتي اقتصرت نشاطاتها على عملية فتح بعض السداد المقامه هناك دون ان تحقق اية مشاريع تنموية سريعة او ستراتيجية على ارض الواقع،الامر الذي ساهم في تكريس معاناة سكان الاهوار وزيادة تلوث البيئة التي يعيشون فيها،بعد ان هدرت مبالغ ضخمة كانت مخصصة لاحداث تغيير حقيقي فيها.

٣. ضرورة استحداث وزارة او هيئة على اقل تقدير، تاخذ على عاتقها المسؤولية المباشرة عن الاهوار بجانبيها الاجتماعي والطبيعي ،بعد ان ثبت وبما لا يقبل الشك عجز الجهات الرسمية و غير الرسمية التي أخذت على عاتقها أو فوضتها الحكومة العمل في الأهوار . لقد تم هدر مبالغ ضخمة جداً بصورة مقصودة ومنظمة من قبل هذه الجهات خلال المدة التي تلت سقوط النظام السابق ولحد الآن والدليل على ذلك هو عدم وجود أي تغيير حقيقي يمكن اعتباره إنجاز يتناسب مع كمية الأموال المشار إليها . لقد ساهمت هذه الجهات في تكريس مأساة بيئة الأهوار وسكانها ولابد من عمل يوقف هذه الجهات بل ويعرض مسئوليها للمسائلة القانونية.

٤. ضرورة تركيز الحكومة على الجانب الاجتماعي الذي يجب أن يديرهُ اختصاصيون في علم الاجتماع والانثروبولوجيا في أية مؤسسة تفوضها للعمل في الأهوار لأنهُ من غير المعقول أن يدير عملية إنعاش الأهوار اختصاصيين في هندسة الري والبزل فقط ، إذ كيف يتسنى لهؤلاء البحث في الحقل الاجتماعي. لقد انصب اهتمام مركز إنعاش الأهوار – وهو مؤسسة تابعة لوزارة الموارد المائية ويضم مجموعة من المهندسين – على غمر المناطق المجففة من الأهوار بالمياه. ولم يتطرق هذا المركز لا من بعيد ولا من قريب للكيفية التي يستطيع من خلالها إنعاش جميع مكونات بيئة الأهوار وعلى رأسها الإنسان نفسه.

٥. أن الخطأ الذي وقعت فيه الدولة العراقية بتفويض وزارة الموارد المائية - متمثلة بأحد مراكزها الذي يسمى " مركز إنعاش الأهوار" - بالإضافة إلى الدور الذي أعطي لوزارة البيئة في هذا المجال ،

تفويضها لتطوير بيئة الأهوار هو خطأ فادح ولا بد من تصحيحه لسبب رئيس هو أن بيئة الأهوار لا تعني مياه وقصب وبردي فحسب ، أنما تعني أيضا بيئة اجتماعية تعرض سكانها لشتى صنوف الاضطهاد والتنكيل والتهجير والمطاردة ولابد من وجود مؤسسة تضم اختصاصات مختلفة من سوسيولوجي و انثروبولوجيا و اقتصاد وجغرافية وطب بشري وبيطري وزراعة وري وبزل وطرق وجسور وسياحة .أن وجود هذه الاختصاصات مجتمعة في مؤسسة واحدة سوف يدعم عملها الذي قامت من اجله وهو تطوير بيئة الاهوار لأن أي مجال سوف لا يغيب عنها والتالي يكون عملها متكاملاً إلى حدٍ كبير.

وتجهيزها بصورة جيدة مع التوعية المستمرة للسكان بضرورة إرسال أبنائهم إلى المدارس سوف يساهم في بناء مفردات ثقافية جديدة تتبناها الأجيال الصغيرة والشابة شريطة أن يتم متابعتها ودعمها حتى تستطيع إكمال مراحل الدراسة الأخرى وعدم اقتصارها على الدراسة الابتدائية . ان تقليل نسب الأمية بين سكان الأهوار سوف يساهم مساهمة كبيرة في تغيير أنماط البناء الاجتماعي فيها نحو الأفضل .

Abstract

The traditional culture inherited by the primitive, among which marshland societies, plays an Influential role in the social back ward ness of these societies in all life aspects. what increases the problem is the complete absence of the official institutions of learning and education. This also hinders any social change for a better life.

This study is based on hypothesis that "Education and learning have an effective role in improving the life of marsh land inhabitations. The researcher tries to study this problem in depth hopefully, to solve part of this tragic problem. The suffering will, as a result, be decreased for both genres and all ages.

It is admit table that the social change is an inevitable his tropical fact; but history is some times un able to perform in front of social satisfactions which are outside the historical process.

It is not fair to put all the burden of this responsibility on the marshland inhabitants alone, since we realize, objectivity, that those inhabitants suffered a lot during the past decades, this suffering is of different types of prosecution, part of it is psychological social oppression and immigration by force are also additional factors.

Therefore, these societies don't have more than their traditional culture which increased their suffering.

٦. أن أية عملية تهدف إلى التغيير في بيئة الأهوار سوف تبقى عاجزة عن تحقيق أهدافها إذا أهملت أو عجزت عن تنمية الإنسان هناك ، وأهم مجالات هذه التنمية يجب أن تتعلق بتطوير التعليم والقضاء على الأمية والتقليل من نسبتها التي أخذت في الزيادة في العقود الأخيرة. إن بناء المدارس في مختلف مناطق الأهوار ورفدها بالكوادر التربوية والتعليمية

الهوامش

1- E . B . Tylor: ((primitive culture)) London , 5thed 1913 –pp3 – 4.

2- Clyde klukhohn and William Kelly "The Concept of culture" The science of Man in The world crisis. Ed Ralph Linton "N. Y "Columbia University press, 1945, P P. 95 – 99.

٣. علاء الدين جاسم ألبياتي ، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ، مؤسسة الأعلمي ـ دار التربية (بيروت بغداد) ، ١٩٧٥ ، ص .١٥
٤. لوسي مير ، مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ، ترجمة شاكر مصطفى سليم ، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٤١٨.
٥. لوسي مير ، نفس المصدر ، ص .٣٨٨
٦. لوسي مير ، نفس المصدر ، ص .٣٥٧
٧. إحسان الحسن، موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص .٩١
٨. إحسان الحسن ، نفس المصدر ، ص ٩٢-.٩٣
٩. محمد الجوهري ، الأنثروبولوجيا – أسس نظرية وتطبيقية عملية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٧ ، مصر الإسكندرية ، ص٧١ .
10- Ralph Linton, The study of Man "N. Y "Appleton century – crofts, 1936, P P . 403 – 408 .
١١.محمد الجوهري ، نفس المصدر ، ص١١١ .
١٢.محمد الجوهري ، نفس المصدر ، ص١٠٩ .

المصادر العربية

١. لوسي مير ، مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية ، ترجمة شاكر مصطفى سليم ، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، بغداد ، ١٩٨٣ .
٢. علاء الدين جاسم ألبياتي ، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ، مؤسسة الأعلمي ـ دار التربية (بيروت بغداد) ، ١٩٧٥ .
٣. إحسان الحسن، موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٩.
٤. محمد الجوهري ، الأنثروبولوجيا – أسس نظرية وتطبيقية عملية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٧٧ ، مصر الإسكندرية.

المصادر الأجنبية:

١. E . B . Tylor: ((primitive culture)) London , 5thed 1913.
٢. Clyde klukhohn and William Kelly "The Concept of culture" The science of Man in The world crisis. Ed Ralph Linton "N. Y "Columbia University press, 1945.
٣. Ralph Linton, The study of Man "N. Y "Appleton century – crofts, 1936.